

في نور محمد فاطمة الزهراء

أثير، كانت معتزّة به أيما اعتزاز، دائماً كانت تفصح عن حبّها له، وفخرها به، فتترنّم مغرّدةً: هذا أخٌ لي لم تَلدْهُ أُمِّي *** وليسَ مِن نَسْلِ أَبِي وَعَمِّي فَأَنزَمَهُ اللّاهم فيمن تُنمّي [247] أحياناً كانت ترقّصه، وهي تغنّي على وقع حرّكاته: يا ربّنا أبقِ لنا محمداً *** حتّى أراه يافِعاً وأمّرداً ثم أراه سيّداً مسوّداً *** واكديتْ أَعاديهِ معاً والحُسّـدَ وأعطه عزّاً يدوم أبداً مرّة خرجت به إلى البادية، تلاعبه وتشدو له، فاستغرقها اللعب والشدو، حتّى علت بهما الطهيرة، واشتدّت عليهما وقدة الهجير، فإذا أُمّها: حلّمة السعدية عند رأسها، تخطفه من بين ذراعيها، وتضمّه إلى صدرها، عسى أن تحميه من نار الشمس الملتهبة، ثم تصيح غاضبةً بابنتها الشيماء: ويحك! في هذا الحرّ؟ فتنبري الابنة، تردّ عن حلّمة خوفها عليه: يا أمه، ما وجد أخي حرّاً. وتضيف وهي ترفع إصبعاً تشير بها إلى بقعة رمادية سابحة في السماء: رأيت هذه الغمامة تظلّ عليه، إذا وقف ووقفت، وإذا سار سارت [248]. وكان حقّاً ما قالت الصغيرة. وامتلات حلّمة السعدية عندئذ رضىً وطمأنينة، وضمت في أحضانها الرضيع وهي تدعو له: أعود باً من شرّ ما نحذر على ابني. وعادت به، والدنيا كلّها في عينيها المتألّقتين رجاء ومحبةً ونور. وابدّ، والزمن يسير، وتترى الآيات والبشارات، على امتداد عمر هذا الوليد، تبين للعالمين، أناً بإلماح وأناً بإفصاح، أنّه هو البشير النذير.